كيف حصلنا على
الكتاب المقدَّس

منذ أن واجَهَت حوّاء جدارَ الشكِّ والإنكار ذاك الذي أقامه الشيطان (تك ٣ :١- ٧)، ما تزال كلمة الله تتعرَّض للشكِّ من قِبَلِ البشر. والمؤسف أنّ حوّاء لم تلقَ أيَّ عون، أو لَقِيَت عونًا قليلًا، كي تتخطَّى العوائق العقليَّة التي واجهتها إلى الإيمان الكلِّيِّ بكشفِ الله الذاتيّ (تك ٢ :١٦ و١٧).

والآن، من المؤكَّد أنَّ الكتاب المقدَّس يحتوي على قَدْرٍ غير قليل من الأُمور التي ينبغي أن تُفحَص، بالنظر إلى كونه مُكوَّنًا من ٦٦ سفرًا، و١١٨٩ أصحاحًا، و٣١,١٧٣ آية، و٧٧٤,٧٤٦ كلمة. وحين تفتح الكتاب المقدَّس بترجمته العربيَّة لتقرأ أو تدرس، لعلَّك تساءلت في الماضي أو تتساءل اليوم: «كيف يمكن أن أتيقَّن بأنّ هذه هي كلمة الله النقيَّة والحقيقيَّة؟»

إنَّ سؤالًا من هذا النَّوع ليس رديئًا بجُملته، ولا سيَّما حين يطلب المرء أن يتعلَّم بذهنٍ قابلٍ للتعلُّم (أع ١٧ :١١). فالكتاب المقدَّس يبعث على طرح استفهاماتٍ من النوع الذي يطرحه التلميذ المُخلِص. حتّى إنّ سَيلًا عارمًا من الأسئلة يمكن أن يطوف في الذِّهن، من قَبيل ما يلي:

- من أين جاء الكتاب المقدَّس؟
- تفكيرَ مَن يُظهِر؟
- هل فُقدت أيَّة أسفار من الكتاب المقدَّس في الماضي؟
- ماذا يقول الكتاب المقدَّس عن نفسه؟
- هل يرتقي الكتاب إلى مُستوى تصريحاته؟
- مَن كتب الكتاب المقدَّس: الله أم الإنسان؟
- هل سَلِمَت الأسفار المقدَّسة من التلاعُب البشريِّ على مرِّ القرون؟
- إلى أيِّ مدًى الترجماتُ الموجودةُ اليوم قريبةٌ من المخطوطات الأصليَّة؟
- كيف وصل الكتاب المقدَّس إلى زماننا ولغتنا؟
- هل تأتي أسفارٌ مقدَّسة أُخرى بَعد، فضلًا عن الستَّة والستِّين سفرًا الحاليَّة؟
- مَن حدَّد، وعلى أيِّ أساس، أنّ الكتاب المقدَّس مكوَّن من جُملة الأسفار الستَّة والستِّين المعهودة؟
- إذا كان الكتاب المقدَّس قد كُتب على مدى فترةٍ دامت ١٥٠٠ سنة (حوالى ١٤٠٥ ق م حتّى ٩٥ ب م)، وانتهى إلينا منذ ذلك الحين في غضون ألفي سنة تقريبًا، وتُرجِم إلى بضعة آلاف من اللغات، فما الذي حال دون تغيير نصِّ الكتاب بداعٍ من السَّهو أو سوء النيَّات لدى البشر؟
- هل يستحقُّ الكتاب المقدَّس الموجودُ اليوم فعلًا أن يُلقَّب «كلمة الله»؟

ولا شكَّ في أنّ هذه الأسئلة قد عصفت في أذهان كثيرين. ولكنَّ من شأن دراسةٍ للأسفار المقدَّسة وحدها أن تحسم جميع الأسئلة بحيثُ لا تعود الحاجة تدعو إلى القَلَق من جهتها ثانيةً. فالأسفار المقدَّسة تؤتي هذا اليقين.

تصريحات الكتاب المقدَّس الذاتيَّة

خُذ الكتاب المقدَّس ودعه يتكلَّم مدافعًا عن نفسه. فهل يُصرِّح بأنّه كلمة الله؟ نعم. ففوقَ ألفَي مرَّة في العهد القديم وحده، يؤكِّد الكتاب المقدَّس أنّ الله تكلَّم ما هو مكتوبٌ في صفحاته. وهذا هو ما تُصرِّح به الكلمةُ المقدَّسة من البداية (تكوين ١ :٣) حتّى النهاية (مل ٤ :٣).

ثُمَّ إنَّ التعبير «كلمة الله» (أو كلامه) يَرِد فوقَ ٤٠ مرَّة في العهد الجديد. وكلمة الله هي أيضًا كتاب العهد القديم (مر ٧:١٣)، وهي ما كرز به يسوع (لو ٥:١). وكانت هي الرسالة التي علَّمها الرُّسُل (أع ٤:٣١؛ ٦:٢). كما كانت الكلمة التي قبلها السامريُّون (أع ٨:١٤) مثلما قدَّمها الرُّسُل (أع ٨:٢٥). وكانتِ الرسالةَ التي قبلها الأُمم كما بشَّر بها بطرس (أع ١١:١). كما كانت الكلمةَ التي كرز بها بولس في سفرته التبشيريَّة الأُولى (أع ١٣:٥ و٧ و٤٤ و٤٨ و٤٩؛ ١٥:٣٥ و٣٦). وكانت أيضًا الرسالة التي كرز بها بولس في سفرته التبشيريَّة الثانية (أع ١٦:٣٢؛ ١٧:١٣؛ ١٨:١١). كما كانتِ الرسالةَ التي كرز بها بولس في سفرته التبشيريَّة الثالثة (أع ١٩:١٠). وكانت هي نقطة تركيز لوقا في سفر أعمال الرُّسل من حيث انتشارُها السريع والواسع النِّطاق (أع ٦:٧؛ ١٢:٢٤؛ ١٩:٢٠). وقد كان بولس حريصًا على إخبار الكورنثيِّين بأنَّه يتكلَّم بالكلمة الإلهيَّة كما أعطاه إيَّاها الله، وبأنَّها لم تُغَشّ، وبأنَّها إعلانٌ للحقّ (٢كو ٢:١٧؛ ٤:٢). وأقرَّ بولس بأنَّها مصدر كرازته (كو ١:٢٥؛ ١تس ٢:١٣).

ثُمَّ إنَّ المزمورَين ١٩ و١١٩، إضافةً إلى أمثال ٣٠:٥ و٦، يشتملان على تصريحات قويَّة بشأن كلمة الله تُميِّزها عن أيِّ إرشاد دينيٍّ آخر، عُرِف في تاريخ البشريَّة على وجه الإطلاق. فهذه المقاطع تدعم دعوى وصف أسفار الكتاب بأنَّها «مقدَّسة» (رو ١:٢؛ ٢تي ٣:١٥).

ويؤكِّد الكتاب المقدَّس حيازتَه السُّلطان الروحيَّ المطلق في التعليم والتوبيخ والتقويم والتهذيب الذي في البرّ، لأنَّه يُمثِّل كلمة الله القدير الموحى بها (٢تي ٣:١٦ و١٧). كما أنَّه يُشدِّد على كفايته الروحيَّة الكاملة إلى حدِّ أنَّه ينسب الحصريَّة إلى تعليمه (رج إش ٥٥:١١؛ ٢بط ١:٣ و٤).

هذا، وتُصرِّح كلمةُ الله بأنَّها **معصومة من الخطأ** (مز ١٢:٦؛ ١١٩:١٤٠؛ أم ٣٠:٥أ؛ يو ١٠:٣٥) **ومَصونة من النَّقص** (٢تي ٣:١٦ و١٧). وبكلمةٍ أُخرى، هي صحيحة وصادقة، ولذلك فهي جديرة بالثقة. وهذه الصفات كلُّها تتعلَّق بحقيقة كون الأسفار المقدَّسة صادرةً من الله (٢تي ٣:١٦؛ ٢بط ١:٢٠ و٢١)، الأمرُ الذي يضمن نوعيَّتها في **مصدرها** وعند كتابتها الأصليَّة.

وفي الكتاب المقدَّس، يترابط شخص الله وكلمة الله ترابُطًا وثيقًا في كلِّ موضع، حتّى إنّ كلَّ ما هو صحيحٌ بالنِّسبة إلى طبيعة الله فهو صحيحٌ أيضًا بالنِّسبة إلى كلمة الله. فإنّ الله حقٌّ ومُنزَّه وأهلٌ للثِّقة، ولذلك فكلمتُه كذلك. وما يعتقده المرء بشأن كلمة الله يُظهِر بالحقيقة ما يعتقده بشأن الله ذاته.

مِن هنا، تستطيع الأسفار المقدَّسة أن تفرض على قُرّائها مطالبَ من قَبيلِ ما يلي:

> فأذلَّك، وأجاعك، وأطعمك المنَّ الذي لم تكن تعرفه ولا عرفه آباؤك، لكي يُعلِّمك أنَّه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكلِّ ما يخرج من فم الربِّ يحيا الإنسان.
>
> (تث ٨:٣)

> من وصيَّة شفتيه لم أبرح، أكثر من فريضتي ذخرتُ كلامَ فيه.
>
> (أي ٢٣:١٢)

عمليَّة النَّشر

لا يتوقَّع الكتاب المقدَّس من قارئه أن يلجأ إلى الحَزْر والتَّخمين بشأن الكيفيَّة التي بها انتقلت هذه الصفات الإلهيَّة من الله إلى كلمته، بل بالأحرى يستبق الأسئلة بأجوبةٍ مُقنِعة. وقد شنَّ كلُّ جيل من الشُّكوكيِّين هجماته على تصريحات الكتاب المقدَّس الذاتيَّة، غير أنّ ما تضمَّنه من تفسيرات وإجابات ما برحت أكثر من كافية ووافية لردِّ التحدِّي. فإنّ الكتاب المقدَّس قد اجتاز عمليَّة النَّشر الإلهيَّة بكونه أُعطي للجنس البشريِّ ووُزِّع بين أفراده. وملامحه القليلة المُميَّزة معروضةٌ في ما يلي.

الإعلان

لقد تولَّى الله المُبادرة بكشف ذاته أو إعلانها للبشر (عب ١:١). وقد اختلفت الوسائط؛ فأحيانًا كان ذلك بواسطة نظام الخليقة، وأوقاتًا أُخرى بواسطة الرؤى/ الأحلام، أو الأنبياء المتكلِّمين. غير أنّ الكشوف الذاتيَّة الأكمل والأيسر على الفهم

كانت من خلال أقوال كلمة الوحي المقدَّسة (١كو ٢ :٦- ١٦). فإنّ كلمة الله المُعلَنَة والمكتوبة هي إعلانُ الله الوحيدُ الكامل، الكاشفُ بوضوحٍ كونَ الإنسان خاطئًا، وتدبيرَ الله للمخلِّص.

الوحي

تمَّ تدوين إعلان الله في مكتوبات الكلمة المقدَّسة بواسطة «الوحي». ولهذا علاقةٌ بالعمليّة التي بها أعلن الله ذاته أكثر من علاقته بحقيقة إعلانه الذاتيّ. «كلُّ الكتاب هو موحًى به من الله...» (٢تي ٣ :١٦). هذا هو التصريح الأسمى. ويشرح بطرس العمليَّة: «... عالمين هذا أوّلًا: أنّ كلَّ نبوَّة الكتاب ليست من تفسير خاصّ؛ لأنّه لم تأتِ نبوَّة قطُّ بمشيئة إنسان، بل تكلَّمَ أُناس الله القدِّيسون مَسُوقين من الروح القدس» (٢بط ١ :٢٠ و٢١). بهذه الوسيلة تمَّ صَوْنُ كلمة الله من الخطإ البشريِّ في صورتها الأصليَّة بفضل خدمة الروح القدس (رج تث ١٨ :١٨؛ مت ١ :٢٢). وفي سفر زكريّا وصفٌ للعمليَّة بالغُ الوضوح: «... الشريعة والكلام الذي أرسله ربُّ الجنود بروحه عن يد الأنبياء السابقين» (زك ٧ :١٢). فخدمة الروح هذه شملت الجزء (الكلام أو الكلمات) وشملت الكُلَّ في المكتوبات الأصليَّة.

القانونيَّة

يجب أن نفهم أنّ الكتاب المقدَّس هو بالفعل كتابٌ واحد له مؤلِّفٌ إلهيٌّ واحد، وإن كان قد كُتب في أثناء فترةٍ دامت ١٥٠٠ سنة بأقلامِ نحوِ ٤٠ كاتبًا بشريًّا. ويبدأ الكتاب المقدَّس بخبَرَ الخلق في تكوين ١ و٢، وقد كتبه موسى حوالى السنة ١٤٠٥ ق م، ثُمَّ يمتدُّ إلى خبر الأبديَّة المستقبليِّ في رؤيا ٢١ و٢٢، وقد كتبه الرسول يوحنا حوالى السنة ٩٥ ب م. وفي أثناء ذلك الزمان، أعلن الله ذاته ومقاصده بالتدريج في الأسفار المقدَّسة الموحى بها. ولكنَّ هذا يُثير سؤالًا هامًّا: «كيف نعرف أيَّة مكتوبات تُعتبَرَ مقدَّسة، فيجب إذ ذاك أن يشملها قانونُ الأسفارُ المقدَّسة، وأيَّةُ مكتوبات يجب أن تُستثنى منه؟»

على مرِّ القرون، اعتُمدت ثلاثةُ مبادئَ مُعترَفٍ بها على نطاقٍ واسع لإثبات صحَّة تلك المكتوبات التي كانت نتيجةً للإعلان والوحي الإلهيَّين. أوّلًا، كان ينبغي أن يكون المكتوب صادرًا عن كاتبٍ هو نبيٌّ أو رسولٌ مُعتبَرَ (أو شخصٌ رافق الأنبياء أو الرُّسُل، كما هي الحال بالنِّسبة إلى إنجيلَي مرقس ولوقا ورسائل العبرانيِّين ويعقوب ويهوذا). ثانيًا، كان ينبغي ألَّا يُعارِضَ المكتوبُ أو يُناقِضَ ما سبقه من أسفار مقدَّسة. ثالثًا، كان ينبغي أن يحظى المكتوب بإجماعٍ كُلِّيٍّ من قِبَل الكنيسة بوصفه سفرًا موحًى به. وهكذا، فعندما انعقدت مجامعُ شتَّى في تاريخ الكنيسة للنظر في قانونيَّةِ الأسفار المقدَّسة، لم تُصوِّت على قانونيَّة سفرٍ مّا، بل بالأحرى اعترفت بما سبق أن كتبه الله فعلًا، وذلك على أساس الحقيقة والواقع.

وفي ما خصَّ العهدَ القديم، ففي أيّام المسيح كانت أسفار العهد القديم كلُّها قد صارت مكتوبة ومقبولة عند الجماعة اليهوديَّة. والسِّفر الأخير، أي ملاخي، كان قد خُتِم في السنة ٤٣٠ ق م تقريبًا. فإنّ قانون العهد القديم في أيّام المسيح يوافق تمامًا كتاب العهد القديم الذي ما برح منذ اكتماله مُعتَمدًا على مرِّ القرون؛ وليس ذلك فقط، بل إنَّ ذلك القانون أيضًا لا يشتمل على أسفار الأبوكريفا غير الأصليَّة وغير المُوحَى بها، وهي تلك المجموعة المؤلَّفة من ١٤ مكتوبًا ناشزًا كُتبت بعد ملاخي وأُلحِقَت بالعهد القديم ما بين ٢٠٠ و١٥٠ ق م تقريبًا في الترجمة اليونانيَّة للعهد القديم العبريّ، تلك المعروفة بالسبعينيَّة، وما تزال مشمولةً حتّى اليوم في بعض ترجمات الكتاب المقدَّس. غير أنّ شاهدًا واحدًا من الأبوكريفا لا يقتبسُه في العهد الجديد أيُّ كاتبٍ من كُتّابه، كما أنَّ المسيح لم يُصادِق على أيِّ شيءٍ من تلك المكتوبات ما دام قدِ اعترف بقانون العهد القديم المعتمَد في أيّامه (رج لو ٢٤ :٢٧ و٤٤).

وفي زمان المسيح، كان قانون العهد القديم موزَّعًا في لائحتين من ٢٢ سفرًا أو ٢٤ على التوالي، وكلتاهما تضمَّنت جميع الموادِّ عينها كما نجدها في الأسفار التسعة والثلاثين المُدرَجة في نُسَخِنا الراهنة. وفي القانون المؤلَّف من ٢٢ سفرًا، اعتُبر إرميا والمراثي سِفرًا واحدًا، مثلهما مثل سِفرَي القضاة وراعوث. وإليك ترتيبَ الأسفار كما أُدرِجَت في شكلها المؤلَّف من ٢٤ سفرًا.

العهد القديم العبريّ		
التوراة	**الأنبياء**	**الكُتُب**
١. تكوين	**أ. الأنبياء السابقون**	**أ. الأسفار الشعريّة**
٢. خروج	٦. يشوع	١٤. المزامير
٣. لاويين	٧. قضاة	١٥. الأمثال
٤. عدد	٨. صموئيل (الأوَّل والثاني)	١٦. أيّوب
٥. تثنية	٩. الملوك (الأوَّل والثاني)	**ب. الدُّروج الخمسة (مجلُّوث)**
	ب. الأنبياء اللاحقون	١٧. نشيد الأنشاد
	١٠. إشعياء	١٨. راعوث
	١١. إرميا	١٩. المراثي
	١٢. حزقيال	٢٠. الجامعة
	١٣. الأنبياء الاثنا عشر (الصغار)	٢١. أستير
		ج. الأسفار التاريخيّة
		٢٢. دانيال
		٢٣. عزرا – نحميا
		٢٤. أخبار الأيّام (الأول والثاني)

ثُمَّ إنَّ معايير القانونيّة الرئيسيّة الثلاثة التي اعتُمِدت بالنِّسبة إلى العهد القديم اعتُمِدَت أيضًا بالنِّسبة إلى العهد الجديد. وفي ما خصَّ حالة كلٍّ من مرقس ولوقا/ أعمال الرُّسل، فإنَّ الكاتبَين اعتُبرا على وجه الحقيقة ناسِخَين لدى بطرس وبولس على التَّوالي. أمَّا رسالتا يعقوب ويهوذا فقد كتبهما أخَوَا المسيح غيرُ الشَّقيقَين. وبينما كانت رسالة العبرانيِّين في العهد الجديد هي السِّفرَ الوحيدَ الذي لم يُعرَف كاتبُه بالتحديد، فإنَّ مضمونها مُتناغِمٌ تمامًا مع كِلا العهدَين، القديم والجديد، بحيثُ استنتجتِ الكنيسة الباكرة بأنَّ كاتبها وجب أن يكون أحد مُعاوِني الرُّسُل. وقد تمَّ قبول أسفار العهد الجديد السبعة والعشرين بالإجماع منذ ما بين ٣٥٠ و٤٠٠ ب م تقريبًا على أنَّها كلَّها مُوحًى بها من الله.

الحفظ

كيف يمكن أن يتيقَّن المرء بأنّ كلمة الله المكتوبة، المُعلنةَ والمُوحى بها، والتي اعتبرتها الكنيسةُ الباكرة قانونيّة، قد وصلت حتى أيّامنا هذه دون فقدان أيِّ جزءٍ من مادّتها؟ وبَعد، ما دام في طليعة اهتمامات إبليس أن يُقوِّض الكتاب المقدَّس، فهل صمدت أسفارُه في وجه هذا الهجوم الفتّاك من قِبَلِه؟ إنَّه في البداية أنكر كلمة الله إلى حوّاء (تك ٣ :٤). وفي ما بعدُ حاول الشيطان أن يُحوِّر المكتوب في أثناء المواجهة التي تصدَّى فيها للمسيح في البريَّة (مت ٤ :٦ و٧). بل إنَّه على يد الملك يهوياقيم، حاول فعلًا أن يُلاشيَ الكلمة (إر ٣٦ :٢٣). فالحربُ على الكتاب المقدَّس ناشِبة وناشطة، ولكنَّ كلمة الله صمدت وستبقى صامدةً فيما انحدر أعداؤها ويَندحِرون.

وقدِ استبقَ الله خُبثَ الإنسان والشيطان تُجاه الكلمة المقدَّسة بوعودٍ إلهيَّة بأن يحفظ تعالى كلمته. فاستمرارُ وجود الكتاب المقدَّس دائمًا، مضمونٌ في إشعياء ٤٠ :٨: «يبس العشب، ذبُل الزَّهر؛ وأمَّا كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد» (رج ١بط ١ :٢٥). وهذا أيضًا يعني أنَّه لم يُفقَد في الماضي أيُّ مكتوبٍ موحًى به، وينتظر مَن يكتشفه.

إنَّ مضمون الأسفار المقدَّسة بعينه سيبقى ثابتًا على الدَّوام، سواءٌ في السَّماء (مز ١١٩ :٨٩) أو على الأرض (إش ٥٩ :٢١). وهكذا، فإنَّ مقاصد الله، كما هي مُعلَنةٌ في الكُتُب المقدَّسة، لن تُحبَط البتَّة، ولو في أصغر حذافيرها (رج مت ٥ :١٨؛ ٢٤ :٢٥؛ مر ١٣ :٣١؛ لو ١٦ :١٧).

> هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي: لا ترجع إليَّ فارغة، بل تعمل ما سُرِرتُ به، وتنجح في ما أرسلتُها له.
> (إش ٥٥ :١١)

النَّقل

بما أنَّ الكتاب المقدَّس قد تُرجِم إلى لغات كثيرة جدًّا ووُزِّع في أنحاء العالم كلِّه، فكيف يمكن أن نتيقَّن بأنَّه لم تتسرَّب إليه أخطاء، ولو على سبيل السَّهو؟ بينما كانت المسيحيَّة تنتشر، أراد الناس بكلِّ تأكيد أن يحوزوا الكتاب المقدَّس بلغتهم الخاصَّة، الأمرُ الذي اقتضى حصول ترجماتٍ من اللُّغات الأصليَّة: العبريَّة والآراميَّة في العهد القديم، واليونانيَّة في العهد الجديد. وهكذا، فليس عمل المترجمين وحده هيَّأ فرصةً للخطأ، بل إنَّ النَّشر الذي كان يتمُّ من طريق النَّسخ بخطِّ اليد، حتى ظهور المطبعة سنة ١٤٥٠ ب م تقريبًا، أوجد هو أيضًا احتمالات دائمة لحصول الخطأ.

إنَّ المُختصِّين بنقد النُّصوص، وهو عِلمٌ دقيق ذو أُصول، قد اكتشفوا على مرِّ القرون، وحفظوا وصنَّفوا وقيَّموا ونشروا، عددًا كبيرًا مُذهِلًا من مخطوطات الكتاب المقدَّس العائدة لكلا العهدين، القديم والجديد. وفي الواقع أنَّ عدد المخطوطات الكتابيَّة المقدَّسة يفوق بصورة ظاهرة عدد الأجزاء المتواجدة من أيِّ نِتاجٍ أدبيٍّ قديمٍ آخر. فبمقارنة نصٍّ بنَصّ، يستطيع ناقد النُّصوص أن يحدِّد بثقة ما حواه المكتوبُ النبويُّ/ الرسوليُّ الأصليُّ المُوحى به.

ومع أنَّ نُسَخًا موجودة من النصِّ العبريِّ القديم الرئيسيِّ (المَسُوريّ) يعود تاريخُها إلى القرن العاشر ب م فقط، فإنَّ خطَّين مُهمَّين آخرَين من البيِّنات النصِّيَّة يدعمان ثقة نُقَّاد النُّصوص بأنَّهم حاصلون على الأُصول. فأوَّلًا، من المُمكن أن يُقارَن العهدُ القديم العبريُّ العائدُ إلى القرن العاشر ب م بالترجمة اليونانيَّة المعروفة بالسبعينيَّة (وقد كُتِبت حوالى ٢٠٠–١٥٠ ق م؛ فيما تعود أقدم مخطوطة موجودة إلى حوالى ٣٥٢ ب م). وبين الاثنين تَناغُمٌ مُذهِل، ممّا يؤكِّد الدِّقَّة في نقل النصِّ العبريِّ على مدى قُرون. وثانيًا، أثبت اكتشافُ دروج البحر الميت في ١٩٤٧–١٩٥٦ (وهي مخطوطاتٌ يعود تاريخُها إلى حوالى ٢٠٠–١٠٠ ق م) أنَّه مهمٌّ كُلَّ الأهميَّة. فبعد مقارنة النُّصوص العبريَّة القديمة بتلك المُتأخِّرة، اكتُشِفَت فقط بضعة اختلافات يسيرة لم يُغيِّر أيٌّ منها معنى أيِّ نَصّ. فمع أنَّ العهد القديم جَرَت ترجمتُه ونقلُه على مدى قرون، تبيَّن أنَّ أحدث نسخة كانت في جوهرها موافقة تمامًا للنُّسَخ الأقدم.

ثمّ إنّ الاكتشافات المُتعلِّقة بالعهد الجديد هي أكثرُ حسمًا بَعد، لأنَّ كميَّةً من الموادِّ أكبرَ بكثير متوافرةٌ للدَّرس؛ إذ يُوجَد فوق ٥٠٠٠ مخطوطة للعهد الجديد تُراوِح بين كامِلِ الكتاب، ورُقَع من البَرديِّ صغيرة تحتوي على جزء يسير لا يتعدَّى آيةً واحدة. ويعود تاريخ عددٍ قليل من الشَّظايا الموجودة إلى ما بين ٢٥ و٥٠ سنة بعد الكتابة الأصليَّة. وقد توصَّل علماءُ نصوص العهد الجديد عمومًا إلى أن يستنتجوا: ١) أنَّ ٩٩,٩٩ بالمئة من المكتوبات الأصليَّة قد استُعيدَت على صورتها الصحيحة؛ ٢) أنَّه في الجزء الواحد من المئة من الواحد بالمئة لا توجد أيَّة اختلافات تؤثِّر جوهريًّا في أيَّة عقيدة مسيحيَّة.

فبوجود هذا الكنز الثمين من مخطوطات الكتاب المقدَّس باللُّغات الأصليَّة، ومع النشاط المنتظم من قِبل نُقّاد النُّصوص لإثبات محتوى المخطوطات الأصليَّة بدقَّة كاملة تقريبًا، فإنَّ أيَّة أخطاء تمَّ إدخالُها و/أو تناقُلها في آلاف الترجمات على مرِّ القرون يمكن تحديدُها وتصويبُها من طريق مقارنة الترجمة أو النُّسخة بالأصل المُرمَّم. وبهذه الوسيلة التي دبَّرها الله بعنايته، بيَّن صدقيَّة وعده بحفظ كلمته المقدَّسة. ففي وسعنا أن نتيقَّن تمامًا بوجود ترجماتٍ متوافرة اليوم تستحقُّ فعلًا التَّسمية التي تُطلَق عليها: **كلمةُ الله**.

أمّا في اللُّغة العربيَّة، ففي ٧٢٤ ب م ترجم يوحنا أُسقف أشبيلية في اسبانيا بعض الأسفار المقدَّسة إلى اللغة العربيَّة. كما اكتُشفت في دير القدِّيسة كاترينا في سيناء أجزاء من الكتاب المقدَّس بالعربيَّة ترجع إلى ما بين القرنين الثامن والتاسع ب م. وفي أوائل القرن العاشر ترجم سعيد الفيُّوميُّ العهد القديم من العبريَّة إلى العربيَّة لمنفعة يهود المشرق. وحوالى ١٢٥٠ ترجم ابنُ العسَّال الكتاب المقدَّس من القبطيَّة إلى العربيَّة. وقد طُبع الكتاب المقدَّس بالعربيَّة في مجموعة باريس المتعدِّدة اللغات (١٦٤٥) وفي مجموعة لندن (١٦٥٧)، كما نشرت في ١٦٧١ ترجمة عربيَّة من روما بإشراف لجنة ترأَّسها المطران سركيس الرزِّي. وطُبِعت في لندن سنة ١٨٥٧ ترجمة عربيَّة للكتاب المقدَّس هذَّب عبارتها فارسُ الشدياق. وصدرت في بيروت (١٨٦٥) الترجمة المعروفة بترجمة البستاني/ فانديك؛ وبعدها (١٨٨٠) نشر اليسوعيُّون ترجمةً عربيَّة ضبط عبارتها إبراهيم اليازجيّ. وهنالك اليوم عدَّة ترجمات عربيَّة مهمَّة، منها: الترجمة العربيَّة الحديثة؛ الترجمة الكاثوليكيَّة الجديدة، الترجمة التفسيريَّة المعروفة بكتاب الحياة.

الخلاصة

لقد قصد الله لكلمته أن تثبت إلى الأبد (الحفظ). ولذلك، فإنّ كشفه الذاتيَّ المكتوب والمُبلَّغ (الإعلان) عُصِمَ من الخطإ في كتابته الأصليَّة (الوحي)، ثُمَّ جُمع في أسفار العهدين القديم والجديد الستَّة والستِّين (القانونيَّة).

وعلى مرِّ القرون، تمَّ نَسخُ عشرات الآلاف من النُّسخ وترجمةُ الأسفار إلى آلاف من اللُّغات (النَّقل)، ممَّا أدخل بعض الخطأ. ولكن، لأنّ ثمّة وفرةً من المخطوطات القديمة المُتاحة التي تخصُّ العهد القديم والعهد الجديد، فقد تمكّن عِلمُ نقد النُّصوص، وهو يقتضي براعةً ودقَّةً فائقتين، من ضبط الكُتب الأصليَّة (الإعلان والوحي) بنسبة قصوى بلغت ٩٩، ٩٩ بالمئة، ممَّا يُبقي الجزء الواحد بالمئة غيرَ مؤثِّرٍ أبدًا في المُحتوى (الحفظ).

فإنَّ الكتاب المقدَّس الذي نقرأُه وندرسه، ونُطيعه ونَعِظ به، يستحقُّ بغير تحفُّظ أن يُدعى **الكتاب المقدّس**، أو «الكِتابَ الذي لا مثيلَ له»، بما أنَّ مؤلِّفه هو الله، كما أنّه يتَّصف بصفات الحقِّ الشامل والموثوقيَّة الكاملة، وتدلُّ خصائصه أيضًا على مصدره الإلهيّ.

هل من أسفارٍ ستأتي بَعد؟

كيف نعلم أنَّ الله لن يُعدِّل في الكتاب المقدَّس الذي بين أيدينا الآن بسِفرٍ سابعٍ وستِّين موحًى به؟ أو بعبارةٍ أُخرى، «هل خُتم القانون إلى الأبد؟»

تُحذِّر نصوص الكتاب المقدَّس أيَّ إنسان من حذف أيِّ شيءٍ من المكتوب أو إضافة أيِّ شيءٍ إليه (تث ٤ :٢؛ ١٢ :٣٢؛ أم ٣٠ :٦). وإذ نُدركُ أنّ أسفارًا قانونيَّة إضافيَّة جاءت فعلًا بعد كلمات التحذير هذه، لا يَسَعُنا إلّا أن نستنتج أنّه بينما لم يُسمَح قطُّ بإجراء أيِّ حذف من أيِّ نوع، فقد سُمِح في الواقع بأن تُضاف الأسفارُ الموحى بها والمُصدَّقة لأجل إكمال القانون الذي تحميه تلك الآيات التحذيريَّة.

أمَّا النصُّ المُلزِم الأوضح الذي يؤكِّد إقفال القانون فهو تلك الكلمات المكتوبة التي لَم يُزَد عليها شيءٌ طوال ١٩٠٠ سنة.

> لأنِّي أشهد لكلِّ من يسمع أقوال نبوَّة هذا الكتاب: إن كان أحد يزيد على هذا، يزيد الله عليه الضَّربات المكتوبة في هذا الكتاب. وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوَّة، يحذف الله نصيبه من سِفر الحياة، ومن المدينة المقدَّسة، ومن المكتوب في هذا الكتاب. (رؤ ٢٢ :١٨ و١٩)

إنَّ بضع ملاحظات هامَّة، عند أخذها في الاعتبار معًا، قد أقنعت الكنيسة عبرَ القرون بأنّ قانون الأسفار المقدَّسة مُقفَلٌ فعلًا، ولن يُفتحَ مجدَّدًا البتَّة.

١. سفرُ الرؤيا فريدٌ في الأسفار المقدَّسة بكونه يصف بتفصيلٍ لا نظيرَ له أحداث زمان النهاية التي تسبق الأبديَّة المستقبليَّة. فكما أنّ التكوين بدأ الكتاب المقدَّس، بِرَدم الهُوَّة من الأزل الماضي حتى وجودنا الحاليِّ في الزمان والمكان، بخبر الخلق الوحيد المُفصَّل (تك ١ و٢)، كذلك ينقلنا الرؤيا خارجَ الزمان والمكان إلى داخل الأبد الآتي (رؤ ٢٠-٢٢). فالتكوين والرؤيا، بمُحتوياتهما، هما مِسندا كتب الوحي المُتناغِمان تمامًا.

٢. كما حصل صمت نبويٌّ بعد اختتام ملاخي لقانون العهد القديم، كذلك أيضًا كان صمتٌ مُوازٍ بعد إصدار يوحنا للرؤيا. وهذا يؤدِّي إلى الاستنتاج أنَّ قانون العهد الجديد قد أُقفِل عندئذٍ أيضًا.

٣. بما أنّه لم يأتِ، ولا يوجد الآن، أيُّ أنبياء أو رُسُل مُصدَّقون، لا بالمعنى الذي يُبيِّنه العهد القديم ولا بالمعنى الذي يُبيِّنه العهد الجديد، فلا وجودَ إذًا لأيِّ كُتَّاب مُحتَمَلين لأيَّة أسفار قانونيَّة يُوحَى بها في المستقبل. فإنَّ كلام الله «المُسلَّم مرَّةً للقدِّيسين» لن يُزاد عليه شيءٌ البتَّة، بل ينبغي الدفاع عنه بكُلِّ جِدّ (يه ٣).

٤. من بين التحذيرات الأربعة من التلاعُب بالمكتوب، يحتوي ذاك الواردُ في رؤ ٢٢ :١٨ و١٩ وحده على إنذارٍ بالدينونة الإلهيَّة الشَّديدة المترتِّبة على العصيان. أضف أنَّ الرؤيا هو في العهد الجديد السِّفرُ الوحيد الذي ينتهي بتحذيرٍ من هذا النَّوع، وقد كان آخر سفر كُتب في العهد الجديد. وعليه، فإنَّ هذه الحقائق تُلمِّح بقوَّة إلى كون الرؤيا آخِرَ سفرٍ في القانون، وإلى كون الكتاب المقدَّس كاملًا، إذ إنَّ الزيادة عليه أو الإنقاص منه يُسبِّبان استياءَ الله الخطير.

٥. أخيرًا، لقد اعتقَدت الكنيسة الباكرة، وهي الأقربُ عهدًا من الرُّسل، أنَّ الرؤيا خَتَمَ المكتوبات الموحى بها من الله، أي أسفارَ الكتاب المقدَّس كلَّها.

في وسعنا إذًا أن نستنتج، على أساس التحليل الكتابيّ الراسخ، أنَّ قانون الأسفار المقدَّسة مُقفَل وسيبقى مُقفَلاً. فلن يكون في المستقبل سفرٌ سابعٌ وستُّون يُضاف إلى الكتاب المقدَّس.

أين نقف؟

في نيسان (أبريل) **١٥٢١**، مَثُلَ مارتن لوثر أمام مُتَّهِميه الكنسيِّين في مجمع فورمز. وكانوا قد أمهلوه كي يُنكِر إيمانه الراسخ بأنّ الكتاب المقدَّس كافٍ وواضح. ويقال إنَّه ردَّ قائلاً: «إنني أرفض أية سلطة دينيَّة تُناقض الكتاب المقدَّس وخاصة تلك التي تُناقض بعضُها بعضًا؛ فما لم أقتنع من الكلمة المقدَّسة وبالحجَّة الجليَّة، فإنَّ ضميري يبقى أسير كلمة الله... فليُساعِدني الله. هنا أنا أقف».

وعلى غِرار مارتن لوثر، ليتنا نرتفع فوق الشكوك من الداخل ونواجه التهديدات من الخارج حين تتعرَّض كلمة الله للهجمات. فليُساعِدنا الله كي نكون مُكافحين مخلصين في سبيل الإيمان. ولنَقِف في صفِّ الله والكلمة المقدَّسة فقط.

الكتاب المقدَّس

يحوي هذا الكتاب: فكر الله، حالة الإنسان، طريق الخلاص، هلاك الخطاة، سعادة المؤمنين.

تعليمُه مُقدَّس، فرائضه مُلزِمة، تواريخه صحيحة، قراراته لا تُنقَض. فاقرأه لتصير حكيمًا، وصدِّقه كي تخلُص، وطبِّقه لتعيش قدِّيسًا.

إنَّ فيه نورًا لإرشادك، وغذاءً لإسنادك، وعزاءً لإسعادك. هو خريطة المسافر، وعصا السائح، وبوصلة الرُّبّان، وسيف الجنديّ، ومنهاج المؤمن. هنا تنفتح السماء، وتنغلق أبواب الجحيم.

المسيح موضوعه الجليل، وخيرُنا مُرادُه، ومجدُ الله غايتُه. فينبغي أن يملأ الذاكرة، ويسودَ القلب، ويَهديَ القدمَين.

اقرأه على مهل، وبانتظام، وبروح الصلاة. إنَّه منجمُ ثراء، وصحَّةٌ للنفس، ونهرُ سرور. إنَّه مُعطًى لك في هذه الحياة، وسوف يُفتَح عند الحساب، وهو مُثبَّت إلى الأبد.

إنَّه يستلزم المسؤوليَّة العُليا، وسيُكافئ الجهاد الحسن، ويَدين جميع الذين يعبثون بمحتوياته.

من أجل ذلك نحن أيضًا نشكر الله بلا انقطاع، لأنَّكم إذ تسلَّمتم منّا كلمة خبر من الله، قبلتموها لا ككلمة أُناس، بل كما هي بالحقيقة- ككلمة الله التي تعمل أيضًا فيكم أنتم المؤمنين.

(١تس ٢:١٣)